



خطاب صاحب الجلالة بمناسبة عيد الشغل

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله

شعبي العزيز

سيحتفل العالم أجمع غدا بفتح ماي، بعيد الشغل، وإذا حق لأمة ان تحتفل بعيد الشغل وتبجله وتعظمه وتكرمه فهي الأمة الاسلامية، ذلك أن قوامها وأخلاقها وسلوكها كل هذا مبني سواء في القرآن في السنة على الشغل والأشغال والعمل والتعامل، انها ديانة جاءت تقول : لارهبانية في الاسلام، وانها ديانة يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : وقل اعملوا فسيرى عملكم ورسوله والمؤمنون، ديانة روي فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث، أحاديث تكرم الشغل والمشتغل والشغال، أحاديث تبجل وتعظم كل من عمل فتعامل فأصلح بالعمل نجمته وأسرته، والاحاديث في هذا الباب كثيرة، سأكتفي باثنين منها.

النبي يحث عن الشغل

في حديث صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بالمسجد المدني عدة مرات، وكلما مر به رأى رجلا يتعبد ليل نهار، وبعد بضعة أيام سأل النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فقال : من يعول هذا الرجل، فقال له أصحابه يعوله أخوه، فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم : والله أن أخاه لأعيد منه، ثم كرر والله إن أخاه لأعيد منه، ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم حث على الشغل وعلى اكتساب القوت بالعمل والاجتهاد تاركا لله ما هو لله، وموجبا على الانسان ما هو واجب عليه نحو نفسه وأهله وأسرته ومجتمعه وبلده وبالتالي ولم يكتف الاسلام بتبجيل وتعظيم الشغل بل جاء باحترام الشغالين وبدفع أجور تناسب الكرامة البشرية وتناسب حاجاتها وتناسب الذي يدفع لهم أجورهم، ونرى ذلك في الحديث النبوي لأولئك الثلاثة الذين دخلوا غارا فسقطت عليهم حجرة كبيرة فسدت عليهم الباب، فصار كل واحد منهم يستغيث بما أتاه من عمل صالح، فقال الثالث : اللهم إنك تعلم انه كان لي رجل أو كما جاء في الحديث أنه كان لي خادم يخدمني وكنت أدفع له أجرته فإذا به فارقتني فصرت أئمني له أجرته فاشتريت له بها شيئا وإبلا، فبعد سنين رجع الى ذلك الخادم فقلت له هاك خذ هذه لك، فقال كيف ؟ واندعش فقال له ان هذا مالك جميعته لك حتى جعلت لك رأس مال، أو كما جاء في الحديث، وزاد الرجل وقال : اللهم إن كنت تعلم أنني فعلت هذا ابتغاء وجهك ومرضاتك ففرج عنا ما نحن فيه من كرب، فانفرجت الكربة وفتح الغار وخرج الجميع.

الشغل والجد والاجتهاد

وهكذا ترى شعبي العزيز أن الاسلام، ديننا الحنيف، جاء يبين سيرته على الشغل والكد والاجتهاد، ولست في حاجة إلى أذكرك شعبي العزيز أننا نعيش في المنتصف الأخير من القرن العشرين، وأنا نقول ونذكر دائما سنة 2000 ونسي أن أولادنا سيكونون كهولا ورجالا في سنة 2000.

الأطر والرجال والعقول

ولايمكننا ان نعيش أو ان نساير الحياة في سنة 2000 إلا إذا جندنا من الآن كافة طاقاتنا وقوانا لنبني



مستقبلنا بسواعدنا أولاً وخيراتها ثانياً ولكن على أساس ان نجعل هذا البناء على قواعد أهم من السواعد ومن الخيرات ألا وهي الأطر الصالحة والرجال الكادحون والعقول المفكرة.

إنني لا أنسى ان في سنة 1955 وبالضبط في العشرين من شهر مارس تكونت لأول مرة في تاريخ المغرب النقابة الأولى للعمال في المغرب، وحينما أصدرت الصحف ذلك الخبر وقرأناه ونحن بالمنفى صرنا نحلل — أبي رحمه الله وخادم أمته هذا — التبعات والعواقب لهذا الشيء الجديد ولهذا الخلق الجديد، فوصلنا الى النتيجة الحتمية، وهي ان تنظيم الطبقة العاملة وتجنيدتها سوف يكون عاملاً آخر قويا صحيحا ومتمينا في تحرير المغرب واسترجاع سيادته وكرامته، وكذلك كان والله الحمد، فلم تكتف الطبقة العاملة اذ ذاك بالتكتل والتجنيد، بل خاضت معركة أخرى ربما نسيها كثير من الناس، وأريد هنا أن أذكر بها الشباب الذين لم يكونوا ليعلموا تلك المعركة ولا ليطلعوا عليها، لأنها كانت معركة في الظلام معركة مستترة، ولكنها خطيرة.

نقابة وطنية

إننا نذكر أن في وقت الحماية لم يكن للمغاربة الحق في تكوين النقابات، وإذا أراد أحد منهم أن ينخرط في سلك نقابة لم يترك له إلا مجال واحد، وهو الانخراط في نقابة فرنسية، وإذ ذاك كانت تحاول النقابة الفرنسية الشيوعية (س. ج. ت.) وتعمل بالليل والنهار ظاهرا وباطنا لتجلب إليها أكثر ما يمكن من المغاربة، وإذ ذاك أحس الناس بالخطر مثلما أحست الاطارات النقابية الجديدة، فصار الجميع يغزو غزوا آخر، غزوا فكريا ومعنويا، غزوا مغربيا حقا حتى يمكن انتشار أولئك المغاربة من يد منظمة أجنبية لها أفكار ومبادئ مخالفة للإسلام ولروح المغرب، ويلحقونهم بنقابة وطنية حقة تتسم بسماة المغرب قديمها وحديثها.

العمل النقابي والاطار السياسي

ولذا أريد أن أتجه الآن الى الاطارات النقابية كما سبق لي أن اتجهت الى الاطارات السياسية في بلدي هذا فأقول لهم : إذ طرأت أحداث على الأسرة النقابية والعمالية فليس معنى هذا أن وحدة الصف بين العمال وبين الشغاليين قد انثلمت، بل ان هذه الوحدة يجب ان تتحم لا في إطار شكلي فقط، بل وحول مبادئ وأهداف ومقاصد وتحليلات للواقع، على الأسرة النقابية كيفما كان اختلاف منظماتنا أن تفكر في إطاراتها وفي رفع المستوى الفكري لمكاتبها وتنظيماتها، عليها ان تعني قبل كل شيء بالمسائل السياسية والاقتصادية، حقا إن القانون يقول إن النقابات لاحق لها إلا في الدفاع عن حقوقها المعنوية، فهل معنى هذا أن يمنع على الجميع أن يهتم بالمسائل الأخرى ؟ ألا وهي الحياة اليومية والمسيرة السياسية؟ لا، ولم يجعل القانون ولا فلسفة القانون من الشغاليين صنفا خاصا من المواطنين.

وقد يكون من ضرب الخيال أن يقول البعض إننا لانهتم بالمسائل السياسية ولادخل لنا في هذا الشأن، نحن ندافع قبل كل شيء عن الحقوق النقابية، ذلك لأن كل تنظيم أو نشاط نقابي وكل دفاع عن الاجتماعية والاقتصادية مناط بالاطار السياسي الذي يكون فيه ذلك النشاط بتنظيم السلطة وبال دستور وبالمبادئ الاساسية التي بتينا عليها تعاملنا أفراداً وجماعات، لذا قد يكون من السهل أن يتستر أي مسؤول في إطار نقابة كيفما كانت وراء هذا العذر كما انه سيكون من الخطر كل الخطر ان تعطي الاطارات النقابية لمطالبها صبغة سياسية، ذلك ان عملها هذا يمكن ان يزج بمن يتبعها في اضطرابات متلاحقة وديمقراطية ومزايدة تعوق الجميع عن العمل وبالتالي تعوق البلد عن السير قدما في طريق التجهيز.



حاجتنا الى التفكير والتخطيط

وعلينا ثانياً أن نعلم جميعاً ان النسل المغربي يزداد كل سنة، وأن حاجياتنا من السواعد العاملة والأدمغة الرصينة المفكرة متزايدة كذلك سنة بعد سنة، لأن الحاجيات كما قلت سابقاً لا تفتقر إلى سواعد ولا إلى ثروات جديدة، بل تفتقر قبل كل شيء الى تفكير سليم ورصين وإلى تخطيط متقن.

وإذا كان التخطيط المتقن يتطلب من الجميع أن يقوم باحصاءات ترسم للدولة وللشعب التصميمات الاقتصادية والاجتماعية فعلى هذه الاحصاءات كذلك ان تقوم بدورها في تنظيم الحياة السياسية في البلاد.

مشاركة الجميع في الحياة النيابية

ذلك أن نشاطنا الاقتصادي والاجتماعي والتجاري والفلاحي مناط بطبيعة الحال بالاطار السياسي كذلك، فلا بد لنا إذن من الاحصاءات لئمكننا ان نتعرف على الجميع وعلى سن الجميع حتى يمكن للجميع ان يشارك مشاركة فعالة ومجدية في الحياة النيابية لهذه البلاد.

وقد أظهرت الاحصائيات ان ما يزيد على مليونين من البشر لم يسجلوا انفسهم في اللوائح الانتخابية، وهذا من شأنه أن يعطينا جميعاً حاكمين ومحكومين صورة خاطئة غير صادقة عن الحالة السياسية والتيارات الفكرية الموجودة في المغرب، ذلك ان مليونين من الاصوات أو مايزيد على ذلك شيء مهم بالنسبة للتخطيط والاختيارات، وبالنسبة لتكثيف تلك المرأة التي نريد أن تكون لنا بمثابة التراس الحقيقي الذي سنسير عليه في طريقنا.

إعادة النظر في اللوائح الانتخابية

لذا قررنا أن نعيد النظر في اللوائح الانتخابية، وأن يقوم الجميع من سكان وإدارة بما هو مفروض عليهم فرضاً واجبا وطنياً واجتماعياً بتسجيل انفسهم من جديد في اللوائح الانتخابية.

المغاربة لا يفرون من معركة

لا يمكنني أن أتصور مغربياً كيفما كانت نزعته السياسية او انتهاؤه الفكري سيتهرب من هذا التسجيل، لأن المغاربة لا يفرون من معركة، بل المعهود فيهم أنهم يخوضونها بما هو مشروع من الأسلحة، فعلى الجميع إذن أن يقوم بتسجيل نفسه من جديد في بلده أو قريته أو مدينته.

وسيؤدي هذا طبعاً إلى أننا سنؤجل الانتخابات وان البرلمان لن يفتح في اكتوبر، ذلك أن التوقيت والميقات شيء مضبوط جداً.

ولا يمكننا أبداً ذلك إذا نحن أردنا أن نقوم بعمل متقن محكم وإذا أردنا أن تكون المجالس المقبلة المرأة الحقيقية وأن تقوم بدور الحكم بين السلطة التنفيذية وبين مطالب الأمة، وإذا نحن أردنا أن تكون لنا هذه الادارة الفعالة.

وإذا كنت أرغب شخصياً أن يكون بجاني برلمان له ماله من صلاحيات له كذلك ما يجب أن يكون له من حسن التمثيل وصادق التعبير عن رغبات الشعب، فعلياً أن نقوم بعمل متقن وحكيم حتى يمكن للجميع ان يشارك في المعركة الانتخابية وأن يقول رأيه.



أفكار جديدة وروح جديدة

وليس في هذا التأجيل ما يخالف نصوص الدستور مفهومها أو منطوقها، فالدستور يحدد ان البرلمان يفتح في الجمعة الثانية من شهر أكتوبر، ولكن لا يقول من نفس السنة، وحتى لو قالها فرمما قمنا باستفتاء جديد نطلب فيه من الناس ان يغيروا هذا الفصل نظرا لما نؤليه من أهمية لعملية التسجيل وعمليات الاقتراع والانتخابات حتى لا يمكن لأي أحد حسن النية كان أو سيئها ان يطعن في الناخبين أو المنتخبين أو في كيفية الاقتراع.

وهكذا يمكننا إذن أن نفتح باب الدستور الجديد بأفكار جديدة وبروح جديدة، ناسين ومتناسين كل ما قيل في الماضي وكتب، لأنه يستحيل على أية دولة ان تبني مستقبلها على الضغائن والاحقاد وعلى الارقام السلبية، إذ أن كل يوم فات يعد رقما سلبيا، وعلى كل أمة ان تبني مستقبلها على التسامح والتصالح وعلى الارقام الايجابية، تلك التي تؤتي أكلها وتعطي النتائج المتوخاة منها.

تهنئة لجميع العملة

ومرة أخرى أتوجه الى جميع العاملين ومن باب التبعية أتوجه الى جميع المغاربة لأنه والله الحمد لا يوجد في بلدي هذا الأ من يشتغل ومن يعمل، أتوجه لهم مرة ثانية بالتهنئة. كما اتضرع الى الله سبحانه وتعالى ان يعيننا جميعا ويقوي عزيمتنا ويسدد خطانا ويوحد صفوفنا حتى نظل سائرين في طريقنا هذا، طريق العمل والشغل والانتاج، الطريق البعيد عن التهافت، والطريق البعيد عن الترهات والخرافات، بل الطريق المسامر لروح العصر وروح العمل، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيد هذا العيد وأمثال وأمثاله مرارا ومرارا وسنين وسنين باليمن والخير والبركة علينا جميعا.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بفاس

الأحد 16 ربيع الأول 1392 — 30 أبريل 1972